كانت رحلة عمل مضنية شملت طوكيو وأوساكا ونارا وكيوتو وهيروشيما وكيوشو . في كل مدينة اجتماع جماهيري وندوات للتضامن مع نضال الشعوب العربية ، والشعب الفلسطيني خاصة . ان اهتمام اليابانيين بهذه المنطقة من العالم ، في هذه المرحلة ، مدهش الى حد بعيد . وثمة فارق في تجليات هذا الاهتمام بين المستوى الرسمي وبين المستوى الشعبي . النفط هو هاجس المسؤولين . وفلسطين هي هاجس اليساريين .

مطر وفلسطين . لم تتوقف الامطار دقيقة واحدة في كيوشو . قلت للمرافق : لن يأتي الناس في هذه الجزيرة في مثل هذا المساء للتعبير عن تضامنهم معنا . فاجاب : ولكن البرنامج المعد يقول ان اجتماع تضامن سيعقد هذا المساء ، وعلينا أن نذهب . كانت قاعة الاحتفالات في الجامعة مزدحمة بالطلبة وغيرهم . وفي نهاية الاجتماع قدمت لي فتاة كتابا يتضمن رسالة مؤثرة :

« جئت هنا في هذا المساء الممطر لاستمع الى صوتك . رأيتك قبل عدة أيام على شاشة التلفزيون ، وتأثرت بشعرك . لقد نسيت عنوان القصيدة، ولكنني لن انسى أبدا صور الاطفال الفلسطينيين التي عرضت خلال حديثك . اني أحب الاطفال . وان اشد الاشياء ايلاما في نفسي هو أن أطفال بلادك ليسوا سعداء . فلماذا هم تعساء الى هذا الحد ؟ ومن المسؤول . اسرائيل أم الولايات المتحدة الامريكية ؟ انني لست متأكدة تماما ، لاني لا أصدق السياسة . ولكن ما يهمني هو أن يكون الاطفال سعداء . وهذا الكتاب هدية من فتاة يابانية الى أطفال بلادك. اغفر لي أنني لم أجد الوقت الكافي لترجمة الكتاب الى اللغة الانجليزية . لو كنت أعرف عنوانك لقمت بهذه المهمة بسعادة من أجل أطفال بلادك . انني فتاة بسيطة وأحب الاطفال . وأفعل كل شيء من أجل أن يكون أطفال فلسطين سعداء » .

اني أتلقى رسائل كثيرة . ولكن لم تربكني وتهزني رسالة من قبل ، كما فعلت بي هذه الكلمات التي كتبتها مواطنة في جزيرة يابانية بعيدة في ذلك المساء الممطر . اننا لا نشطح في الخيال حين نؤكد أن الاقامة الفلسطينية قد ترسخت في جدارة الانسان باسمه . وان الدفاع عن فلسطين يعني ، في وعي الانسانية الطاهر ، دفاعا عن الطفولة . هذا هو الرأي العام : التفتح على عذاب الطفولة بشكل مجاني ، بلا مصلحة وبلا حافز غير حافز شهية الحياة . ان انسانية المسألة الفلسطينية تسكن فوق أي اعتبار . وهذا الجوهر الانساني العميق فيها هو الذي يجعلها خصوصية بشرية مطلقة .

لقد صفقوا لفلسطين طويلا في هذه الجزيرة . تساءل زميل لي منفعلا : ما الذي يعنيهم هنا في آخر الدنيا بشؤوننا الوطنية ؟ كان تساؤلا صعبا ، يحتاج الى وقفة طويلة . لم يمت الانسان في الانسان . هنالك منطقة ما في الانسان لا يبلغها التلوث . وان حاسة التضامن مع الآخرين هي ذاتها حاسة وحدة المصير البشري . وهي شكل ما من أشكال الدفاع الذاتي عن صفاتنا الانسانية . وحين يتضامن المرء فانه يجري عملية اختبار حر لمدى استحقاقه لما يتمتع به من ميزة كونه انسانا . ان التضامن امتحان نبيل للخصائص الانسانية وفاعليتها من جهة ، ودفاع عما يهدد نشاطها . ويدرك كثير من الناس في كل أنحاء العالم ان معاصرتهم لبؤس المصير الفلسطيني هي شهادة على جريمة ترتكب.وان اللامبالاة تجاه هذه الجريمة هي مساهمة في منحها صفة الشرعية والاقرار البشري ، مما يمهد السبيل امام عملية انقلاب للقيم الانسانية التي تم التوصل الى اقرارها عبر عذاب الحروب والقهر . هذا الانقلاب في التعامل البشري يؤدي الى انقلاب الانسان على ذاته.

وليست هذه الجزيرة اليابانية بعيدة عن مدينة هيروشيما . هل قال أحد ان هيروشيما